عليه السلام في القبلة وقيل هم المنافقون وهو الانسب بقوله عز وجل الا انهم هم السفهاء
وانما قالوه لمجرد الاستهزاء والطعن لا لاعتقادهم حقية القبلة الاولى وبطلان الناسخة
اذ ليس كلهم من اليهود وقيل هم المشركون ولم يقولوه كراهة للتحويل الى الكعبة بل طعنا في
الدين فانهم كانوا يقولون رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها وليرجعن الى دينهم ايضا
وقيل هم الجاحدون في التحويل منهم جميعا فيكون قوله تعالى من الناس اي الكفرة لبيان
ان ذلك القول المحكي لم يصدر عن كل فرد من تلك الطوائف الثلاث بل عن اشقيائهم
المعاندين للخوض في فنون الفساد وهو الاظهر اذ لو اريد بهم طائفة مخصوصة منهم
لما كان لبيان كونهم من الناس فائدة وتخصيصهم بالذكر لا يقتضي تسليم الباقين
للتحويل وارتضائهم اياه بل عدم التفوه بالقدح مطلقا او بالعبارة المحكية ما ولاهم
اي اي شيء صرفهم والاستفهام للانكار والنفي عن قبلتهم القبلة فعلة من المقابلة
كالوجهة من المواجهة وهي الحالة التي تقابل الشيء غيره عليها كالجلسة للحالة التي
يقع عليها الجلوس يقال لا قبلة له ولا دبرة اذا لم يهتد لجهة امره غلبت على الجهة التي يستقبلها
الانسان في الصلوة والمراد بها ههنا بيت المقدس واضافتها الى ضمير المسلمين ووصفها
بقوله تعالى التي كانوا عليها اي ثابتين مستمرين على التوجه اليها ومراعاتها واعتقاد
حقيتها لما بينا في الانصراف عنه فان اريد بالقائلين اليهود فمدار الانكار كراهتهم
للتحويل عنها وزعمهم انها خطاء وان اريد بهم المشركين فمداره مجرد القصد الى الطعن
في الدين والقدح في احكامه واظهار ان كلا من التوجه اليها والانصراف عنها واقع بغير
داع لانكراهتهم الانصراف عنها والتوجه الى الكعبة وتعليق الانكار بما يوليهم عنها لا بما
يوجههم الى غيرها مع تلازمهما في الوجود لما ان ترك الدين القويم ابعد عن العقول او
انكار سببه ادخل للايذان بان المنكرين هم اليهود بناء على المنكر عندهم هو التحويل عن
خصوصية بيت المقدس التي الذي هو القبلة الحقة عندهم لا التوجه الى خصوصية
قبلة اخرى او هم المشركون بناء على ان المنكر عندهم ترك القبلة القديمة على وجه الطعن
والقدح لا التوجه الى الكعبة لانه الحق عندهم فانه بمعزل من ذلك كيف والمنافقون
من احد الفريقين لا محالة والاخبار بذلك قبل الوقوع مع كونه من دلائل النبوة حسب
وقع كما اخبر لتوطين النفوس واعداد ما يبكتهم فان مفاجاة المكروه على النفس اشق
واشد والجواب العتيد لشغب الخصم الالد ارد وقوله عز وجل قل لله المشرق والمغرب
استيناف مبني على السؤال كانه قيل فما اقول عند ذلك فقيل قل لله المشرق والمغرب اي

تعالى

تعالى ناحيتا الارض اي الجهات كلها ملكا وتصرفا فلا اختصاص لناحية منها لذاتها
بكونها قبلة دون ما عداها بل انما هو بامر الله سبحانه ومشيئته يهدي من يشاء اي يهديه
بمشيئته تابعة للحكم الخفية التي لا يعلمها الا هو الى صراط مستقيم موصل الى سعادة الدارين
وقد هدانا الى ذلك حيث امرنا بالتوجه الى بيت المقدس تارة والى الكعبة اخرى حسبما
يقتضيه مشيئته المقارنة للحكم الابية والمصالح الخفية وكذلك جعلناكم توجيه للخطاب
الى المؤمنين بين الخطاب المختصين بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لتاكيد ما في مضمون الكلام
من التشريف وذلك اشارة الى مصدر جعلناكم لا الى جعل اخر مفهوم مما سبق كما قيل وتوحيد
الكاف مع القصد الى المؤمنين لما ان المراد مجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين
المخاطبين وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في
الفضل وكمال تميزه به وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما
افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف و
اصل التقدير جعلناكم امة وسطا جعلا كائنا مثل ذلك الجعل فقدم على الفعل لافادة
القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك
الجعل البديع جعلناكم امة وسطا لا جعلا اخر ادنى منه والوسط في الاصل اسم لما يستوي
نسبة الجوانب اليه كمركز الدائرة ثم استعير للخصال المحمودة البشرية لكن لا لان الاطراف
يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة كما قيل واستشهد عليه بقول ابن اوس
الطائي ۔ كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت ۔ بها الحوادث حتى اصبحت طرفا ۔ فان تلك العلاقة بمعزل
من الاعتبار في هذا المقام اذ لا ملابسة بينها وبين اهلية الشهادة التي جعلت غاية للجعل
المذكور بل لكون تلك الخصال اوساطا للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفي الافراط والتفريط
كالعفة التي طرفاها الفجور والخمود وكالشجاعة التي طرفاها التهور والجبن وكالحكمة التي
طرفاها الجربزة والبلادة وكالعدالة التي هي كيفية متشابهة حاصلة من اجتماع الاوساط ا
المحفوفة باطرافها ثم اطلق على المتصف بها مبالغة كانه نفسها وسوى فيه بين المفرد والجمع
والمذكر والمؤنث رعاية لجانب الاصل كدأب سائر الاسماء التي يوصف بها وقد روعيت ههنا نكتة
رائقة هي ان الجعل المشار اليه عبارة عما تقدم ذكره من هدايته تعالى الى الحق الذي عبر عنه بما
الصراط المستقيم الذي هو الطريق السوي الواقع في وسط الطرق الجائرة عن القصد الى
الجوانب فانا اذا فرضنا خطوطا كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين فالخط المستقيم
هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية ومن ضرورة كونه وسطا بين الطرق الجائرة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1